ترجمة الرافعي:

الرافعي سوري الأصل، مصري المولد، فأسرته من "طرابلس الشام"[1]، من أسرة سورية الأصل[2]، وهو مصطفى بن عبد الرزاق بن سعيد بن عبد القادر الرافعي، ولد في أوائل محرم عام 1291ه/ يناير 1880 م، بقرية بهتيم من محافظة القليوبية بمصر[3]، كان والد الرافعي رئيسا للمحاكم الشرعية في كثير من الأقاليم، وهو واحد من أحد عشر أخا اشتغلوا بالقضاء وآخر منصب شغله هو رئيس محكمة طنطا الشرعية، وكان رحمه الله تعالى ورعا صلبا في دينه، شديدا في الحق، توفي في طنطا ودفن بها.

والأسرة الرافعية من أشهر الأسر العلمية في مصر، قدم جده الشيخ عبد القادر من طرابلس إلى مصر في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، وعليه تخرج كبار علماء مصر كالشيخ البحراوي الكبير والشيخ محمد بخيت المطيعي، وقد نبغ من هذه الأسرة عدد كبير من العلماء والقضاء والأدباء والمؤرخين[4].

وأم الرافعي هي ابنة الشيخ الطوخي، حلبية الأصل، كان والدها تاجرا تسير قوافله بالتجارة بين مصر والشام، وقد اقام في قرية بهتيم.

ولما أدركت الأسرة الرافعية قيمة نسبها فتمسكت به وعملت له فإذا هي حيث هي علما وأدبا ودينا وتقى، وفي جوها شب وترعرع مصطفى صادق الرافعي فقد تولى أبوه أمر توجيهه منذ الصغر، فحفظه القرآن الكريم إلى أن أتقنه حفظا وتجويدا وهي في سن العاشرة، ولم يزل يتعهده بتعاليم الدين الحنيف إلى أن تأكد من أن الروح الإسلامية قد أخذت بمجامع قلبه، وعندئذ اطمأن عليه

---
[1] - حياة الرافعي العريان ص 25.
[2] - المقال عند الرافعي ص 03.
[3] - الجوزو ص 212،
[4] - على السفود ص 10.

وألحقه وهو في سن الثانية عشر بمدرسة "دمنهور" الابتدائية حيث كان يتولى عمله القضائي، ونقل إلى المنصورة فأتم مصطفى صادق الرافعي دراسته الابتدائية، حيث كان يتولى عمله القضائي، وبعد ذلك أصيب الرافعي بمرض لم يبارحه حتى ترك حبسة في صوته ووقرا في سمعه فترك التعليم الرسمي، وعكف على التحصيل الشخصي في مكتبة أبيه، ومكاتب طنطا المشهورة، ينهل من كنوزها، وما مضى إلا قليل حتى استوعبها، وأحاط بما فيها، وبذلك اجتمعت للرافعي العبقري كل أسباب المعرفة والاطلاع إلا أن ثقل سمعه ازداد حتى إذا بلغ الثلاثين من عمره أصبح أصم لا يسمع[1]، وقال لنفسه مرة:" إذا كان الناس يعجزهم أن يسمعوني، فليسمعوا مني..."، فكانت هذه الأسباب خيرا عليه وبركة، وعرف العلم سبيله من نافذة واحدة من نوافذ عقله إلى رأس هذا الفتى النحيل الضاوي الجسد، الذي هيأته القدرة بأسبابها والعجز بوسائله ليكون أديبا من أدباء العربية في غذ ..."[2].

لازم الوظيفة في محكمة "طلخا" مدة ثم نقل إلى محكمة "ايتاي البارود" الشرعية، ثم إلى "طنطا" من المحكمة الشرعية إلى المحكمة الأهلية بعد سنتين، لأنه رأى المجال في المحاكم الأهلية أوسع رحبا والعمل فيها أيسر جهدا وأكثر أجرا، وظل في محكمة "طنطا" الأهلية إلى يومه الأخير يتصارع ويقاوم مشاعر وأماني عديدة، مشاعر نحو وظيفته وأماني نحو أدبه، وهي مشاعر متضاربة مع الأماني، فالحاجة تحتم عليه أن يقتل أطيب أوقاته في الوظيفة وعبقريته تدفع به إلى خلق المعجزات في الأدب، فلما أعجزته السبل استسلم للواقع ولكنه

---

[1] 1- نثر الرافعي، ص 15.
[2] - حياة الرافعي للعريان ص 31.

استسلام تحت أنات حارة، وزفرات متصاعدة ما فتئ يرددها في مرارة وتبرم لبعض أصدقائه[1].

ونشط الرافعي في نظم الشعر نشاطا كبيرا، فلم تمض على ظهور الجزء الأول من ديوانه إلا سنة أو أقل حتى أتم الجزء الثاني ثم الجزء الثالث والأخير، وفي سنة 1908 نشر الجزء الأول من ديوان النظرات[2].

وعلى العموم فقد اتسمت هذه الفترة من حياة الرافعي بالنشاط الأدبي والنقدي، فقد كان يكتب مقالات نثرية ومقطوعات شعرية في مختلف الصحف والمجلات وأخذ اسمه يتلألؤ شيئا فشيئا إلى أن كتب مقالا لاذعا ينتقد فيه شعراء عصرهن وخاصة أحمد شوقي، فإذا المقال يحدث ضجة كبرى وسط الفئة المثقفة، قسم فيه شعراء عصره إلى طبقات، وقدم له بمقدمة بليغة تومئ وتدل على نشاطه وكثرة آماله منها[3]ومما جاء في مقدمتها:" دونك مقالة بكرا لم ينسج على منوالها بعد في العربية حرية بأن تصدر بها مجلتك الغراء، ولا يروعنك شدة لهجتها فكلا حقائق ثابتة، وإن آلمت البعض، فإن الحق أكبر من الجميع، وإني لبالمرصاد لمن ينبري للرد عليها، وأنا كفء للجميع، وما إخال أحدا يستطيع أن ينقص حرفا مما كتبته، وإن هم لزموا الصمت فحسبك من سكوتهم إذ ذاك اقرار بأني أنزلت كل شاعر منهم في المنزلة التي يستحقها، ولا يعنيك معرفة اسمي فأنا ابن جلا وطلاع الثنايا، فانظر إلأى ما قيل وليس لمن قال، وبعد هذا فإن أعجبتك مقالتي فانشرها، وإلا فاضرب بها عرض الحائط"[4].

---

[1] - نثر الرافعي ص 23، 24. بتصرف.
[2] - نثر الرافعي ، ص 33.
[3] - بعث بهذا المقال إلى مجلة الثريا تحت عنوان: "شعراء العصر سنة 1905"، عدد يناير 1905، تحت اسم : رمزي، حيث لم يصرح باسمه حذر التهمة /راجع حياة الرافعي لسعيد العريان، ص 53.
[4] - نثر الرافعي، ص35.

يقول محمد سعيد العريان:" أحسب أن لهذا المقال أهمية كبيرة لمن يريد أن يدرس الرافعي دراسة أوسع، قائمة على قواعد العلم والتحليل النفسي"[1].

ولم يقتصر نشاط الرافعي الأدبي على الكتابة في الصحف، بل شمل أيضا مناحي متعددة لها علاقة بأدبه، وأهمها اتصالاته بكبار الكتاب والشعراء أمثال: محمد عبده، عبد المحسن الكاظمي، وحافظ إبراهيم وغيرهم كثير... وذلك بعد صدور دواوينه الشعرية وثنائهم عليه رحمه الله [2].

فكر الرافعي في مهنة الصحافة لكنه عدل عنها بعد أن نهاه أبوه عنها ووجهه هذه الوجهة التي حمد الله عليها بعد أن أنقذه من لصحافة.

يقول الرافعي:" إني في ابتداء أمري كنت نزعت إلى العمل في الصحافة، وأنا يومئذ متعلم ريض ومتأدب ناشئ، ولكن أبي رحمه الله ردني عن ذلك ووجهني في سبيلي هذه والحمد لله، فلو أنني نشأت صحافيًّا لكنت الآن كبعض الحروف المكسورة في الطبع..."[3].

وفي منتصف سنة 1909م انقطع لتأليف كتابه "تاريخ آداب العرب" إلى أن أنهى الجزء الثالث منه، فنال هذا الكتاب حظا وافرا من المدح والإشادة، فكتب وتحدث عنه الأستاذ أحمد لطفي السيد، كما قرظه امير البيان شكيب أرسلان[4].

وفي سنة 1912 وضع كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ليتمم به معاني الجزء الأول الذي أصدره قبله بسنة، وكان قد أتم الأستاذ العريان الجزء الثالث منه بعد

---

[1] - حياة الرافعي ص 56، 57.
[2] - أنور ماجد عشقي، الرافعي اديب كتب تحت راية القرآن، مجلة الفيصل، ملف خاص بالرافعي، العدد 179، 43.
[3] - الرافعي، وحي القلم، الجزء الثالث، المكتبة العصرية، سنة الطبع 2002، ص 176، 177.
[4] - حياة الرافعي للعريان، ص 68،69.

أن مات الرافعي رحمه الله وتركه أوراقا مبعثرة عسر على العريان جمعها فيما بعد إلا بعد جهد جهيد[1].

وفي سنة **1912**: إنشاء كتابه "حديث القمر" وهو أول ما أنشأه الرافعي من أدب الإنشاء، وقد شرع في كتابته بعد عودته من رحلة لبنان من العام نفسه بعد أن عرف شاعرة من شاعرات لبنان ودار بينه وبينها حديثا طويلا[2].

لوم يتوانى الرافعي عن التأليف والكتابة ففي سنة **1335 هـ = 1917**: الرافعي يُصدر كتابه (المساكين) إثر قيام الحرب العالمية الأولى وما جرته من ويلات على العالم والإنسانية وما تبعها من ظلم وحيف وجور ومظاهر اجتماعية مزرية وقدم له بمقدمة بليغة في معنى الفقر والإحسان والتعاطف الإنساني بقوله[3]:" هذا كتاب حاولت أن أكسو الفقر من صفحاته مرقعة جديدة ... فقد واله بليت اثواب الفقر وإنها لتنسدل على أركانه مزقا متهدلة يمشي بعضها في بعض وإنه ليلفقها بخيوط من الدمع، ويمسكها برقع من الأكباد، ويشدها بالقطع المتنافرة من حسرة إلى أمل، وأمل إلى خيبة إلى همّ، واقبح الفقر ألا يظهر الفقر كاسيا أو تكون له زينة إلا من أوجاع الإنسانية أو المعاني التي يتمنى الحكماء لو أنها غابت في جماجم الموتى الأولين"[4].

وظل الرافعي ينشر المقالات والقصائد في المجلات والصحف وجلها في اعقاب الحرب العالمية الأولى مثل قصيدة "غليوم، ويلسون، التبرج، التخنث، أطفال الشوارع وغيرها من القصائد ولكل قصيدة سببها وغايتها [5].

ثم عزم على الكتابة في الصحف ومواصلة العمل في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى فأكثر من نظم الأناشيد حتى لقب بشاعر الأناشيد، وساعده على البلوغ المنزلة السامية، وما كان له من ذوق دقيق في فهم الأجواء والمناسبات، وإدراكه طبيعة الشباب والشابات. ولما ازدهرت الحركة الوطنية في مصر نظم نشيد الاستقلال الذي أصبح نشيد البلاد من سنة 1923 إلى 1936. وهو "أسلمي يا مصر" وزاحم به شعراء مصر

[1] - نثر الرافعي ص 59و ص 77.
[2] - حياة الرافعي، ص 74.
[3] - حياة الرافعي: ص 79.
[4] - الرافعي، المساكين ، ص 41. وهذه المقدمة مستلة من الطبعة الأولى للكتاب.
[5] - نثر الرافعي، ص 38.

بل العربية قاطبة، وهما شوقي وحافظ وفاز عليهما بنشـيد "ربنـا إياك ندعو"[1].

ثم شرع يؤلف كتابه "رسـائل الأحـزان" في ينـاير سـنة 1924، وأنهاه عشية 17 من فبراير 1924**.** كما يقول العريان :" يخاطب فيه نفسه، برسائل صديق بعث بها إليـه"[2]. ويخـبر الـرافعي عنهـا فيقول : "و"هي رسائل الأحزان لا لأنها من الحـزن جـاءت؛ ولكن لأنها إلى الأحزان انتهت؛ ثم لأنها من لسان كان سلماً يـترجم عن قلب كان حرباً؛ ثم لأن هذا التاريخ الغزلي كان ينبع كالحياة وكـان كالحياة ماضياً إلى قبر"[3].

ثم ألـف الـرافعي سـحابه الأحمـر **1343 هــ = 1925** وهـو الكتاب الرابع من مؤلفاته ويعلق العريان عليـه فيقـول:" أحسـب أن الـرافعي حين أنشـأ السـحاب الأحمـر كـان في حالـة عصـبية لست أعـرف مأتاهـا ومردهـا، ولكن فصـول الكتـاب تتحـدث عن خبرها في شيء من الغموض والابهام"[4].

وكان يخبر صـديقه أبـا ريـة في رسـائله إليـه كيـف كـان يؤلـف ويحرر هذا الكتاب فيقول له:" أمـا السـحاب الأحمـر فقـد انتهيت من فصل الصغيرين، وزدت قطعـة المقتطـف صـفحتين، وامـرأة السجين وحبها، والآن بقي فصـل الشـيخ عبـده وفصـل الحب في رأي امرأة بغي وسأبدأ غدا إن شاء الله بهـذه ثم بعـد ذلـك نفـرغ لروح الشيخ الجليل، وإذا يسر الله هذين الفصلين كتبت المقدمـة وشرعت حالا في الطبع، وأرجـو أن يكـون ذلـك أول ديسـمبر إن شاء الله فادع الله لي بـالعون والتيسـير والسـلام عليكم ورحمـة الله وبركاته"[5].

ويشعر الـرافعي بالسـعادة تملأ قلبـه حين وهـو يخـبر عن ذلـك الكاتب الفرنسي الذي وعده الكتابة عنـه وأدهشـه مـا تـرجم من كتابه السحاب الأحمر[6].

وفي 24 أيار (ماي) 1925 يستعد الرافعي لتأليف كتاب جديـد، فينكب على المطالعة التي لا بد منها[7]، وقد اخبر صـاحبه أبـا ريـة

---

[1] - نثر الرافعي، ص 39 ، 40.
[2] - حياة الرافعي ص 137.
[3] - الرافعي، رسائل الأحزان، ص ...
[4] - حياة الرافعي العريان، ص 133.
[5] - رسائل الرافعي ص 92.
[6] - الجوزو، ص 75.
[7] - الجوزو ، ص 83.

بصعوبة الكتابة في ذلك قائلا:" أفكاري الآن منصرفة عن الصورة والتصوير، وربما آخذ الرسم بعد الفراغ من أوراق الورد، لأني شديد التعب في هذا الكتاب والكتابة فيه عسرة جدا إذ هي طبقة واحدة، وقد كان عندي بالأمس أحد الأدباء المطلعين على الآداب الإنجليزية فأقرأته بعض رسائل منها فقال:" إن مثل هذا لا يوجد في الأدب الانجليزي إلى الآن والحمد لله على توفيقه نسأله عونه وتيسيره، والسلام عليك[1].

وأوراق الورد هو طائفة من الخواطر المنثورة في فلسفة الحب والجمال، أنشأه الرافعي ليصف حالة من حالاته، ويثبت تاريخا من تاريخه، في فترة من العمر لم يكن يرى نفسه من قبلها تاريخا ولا من بعد[2]. وصدر هذا الكتاب بمقدمة محكمة تنم عن اطلاع الرجل وثقافته الموسوعية فيقول:" هذا الديوان تكملة على كتابين خرجا من قبل، هما: "رسائل الأحزان" و"السحاب الأحمر"، ورسائل"أوراق لورد" هذه تطارحها فيلسوف روحاني وشاعرة فيلسوفة روحانية، كلاهما يحب صاحبه كما يقول الفيلسوف ابن سينا:" باعتبار عقلي"، وسيرى القارئ فلسفة حبهما في بعض ما يأتي، كما أرى من ذلك في الكتابين الأخيرين"[3].

وقد تعرض الكتاب الثاني من فلسفات الرافعي في المحبة والجمال والبغض وهو "السحاب الأحمر" هذا الكتاب بالنقد للاذع من طرف الكاتب "سلامة موسى[4]" وأبدى رأيا فيه، تفطن له الرافعي وأدرك أنه من الخطورة بمكان إذ يهدفون إلى النيل من اللغة العربية والطعن في القرآن الكريم وإعجازه، وخاصة بعد صدور كتاب" في الشعر الجاهلي" سنة 1926م، فحسم الرافعي أمره ونوى أن يكون لدعاة المذهب الجديد بالمرصاد، يفل آراءهم، ويدمغ حججهم، ويكشف دخائلهم.

---

[1] - رسائل الرافعي، ص 169.
[2] - حياة الرافعي، ص 141.
[3] - الرافعي أوراق الورد، ص 9.
[4] - لمعرفة المزيد عن سلامة موسى وخطورة ما جاء به من أفكار يراجع: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، للسيد بن حسين العفاني، الجزء الأول، دار ماجد عسيري، السعودية، جدة ، الطبعة الأولى، 1424هـ، 2004م، ص 182.